حسين مهنا

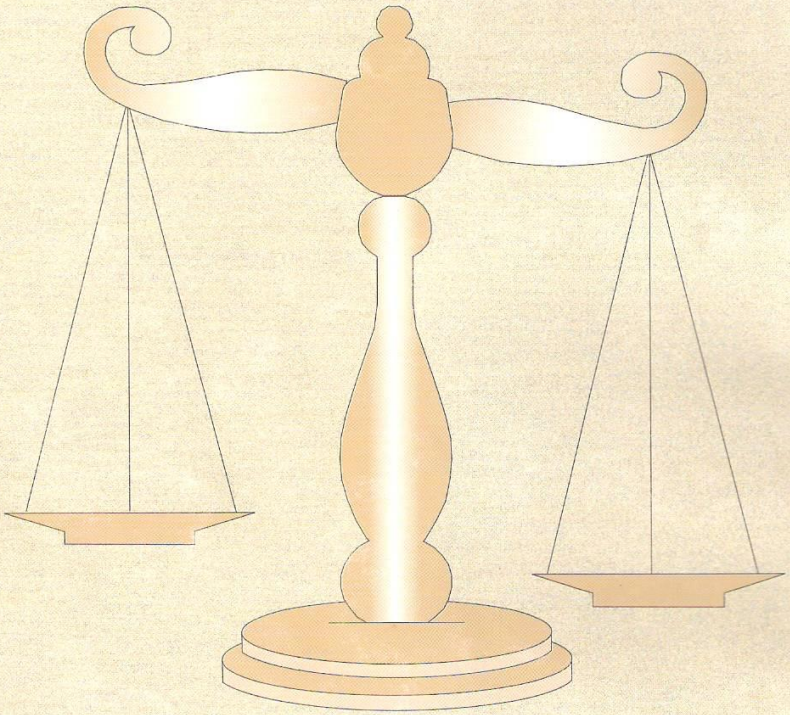

# أنا هو الشاهد...!!

مؤسسة الأسوار - عكا

حسين مهنّا

# أنا هو الشّاهد..!!

-شعر-

مؤسسة الاسوار - عكا

طبعة ثانية

عكا ٢٠٠١ م

مؤسسة الأسوار- عكا

**اللوحات الداخلية**
**بريشة الفنان فوزي ناصر**

# القصائد


١) يورثون الحياة انتصاراً ..... ٩

٢) آها لشبّابةٍ لحنها شاهدٌ ..... ١٥

٣) أراكِ كما لا تراكَ العيون ..... ٢١

٤) سترَ عاشقٍ يظلُّ ليلُنا الرّيفي ..... ٢٧

٥) نوستالچيا ..... ٣٣

٦) قليلاً من الوقت ..... ٤١

٧) لنا فوق هذا الجليل ..... ٤٧

٨) سأجلسُ ذاتَ مساءٍ ..... ٥٣

٩) تركنا على كُلِّ دربٍ ..... ٥٩

١٠) بي شوقٌ لأحيا ..... ٦٥

١١) وإنّا ورثنا الصَباحَ الجميلَ ..... ٧١

١٢) سَأَلتُكِ هذا المساءَ لقاءً ..... ٧٧

١٣) أَسْمِعْني صوتَكَ ..... ٨٣

١٤) لي موعدي في انتظار الحياة ..... ٩١

... وأيضاً في ناموسكم مكتوبٌ إنّ
شهادة رجلين حقّ، أنا هو الشّاهدُ
لنفسي ويشهدُ لي الآب الذّي أرسلني...

(إنجيل يوحنّا/ إصحاح ٨)

# في البَدْءِ...

٥

كانت هناك قُرىً تعبقُ بشذا فلسطين .

قُرىً تفرّدتْ بعرائشِ سطوحِها . . .

بكرومها . .

ببساتينها . .

بأهلها الطّيّبين

أحدّقُ الآن في وجه بلادي

أُحدّقُ . . أُحدّقُ . .

فلا أُبصرُ سوى مُنْمنماتٍ . .

تناثرتْ هنا وهناك وهنالك . .

على جُدران ذاكرةٍ باهتة

وها أنذا أُلَقِّطُ ما تناثر

من حُطام صورةٍ رومانسيّةٍ وادعةٍ

لقريةٍ تسيرُ على دروب الضّياعِ

وأحاول أن أُثبّت ما يمكن تثبيتُهُ

من خَلْخَلةٍ

وقَلْقَلَةٍ

في مفاصلِ قريةٍ تتداعى

وأخشى ما أخشاهُ

أن تكونَ أصابعُ الأيّامِ العابثةُ

أسرعَ

وأبرعَ

في تخريب ما أبدعتهُ الذّائقةُ الإنسانيّةُ

بطيبةٍ فطريّةٍ

وفطرةٍ طيّبةٍ

ولن يبقى من قرى بلادي . . وقصائدي

سوى حِبْرٍ تناسخَ

في مكتبةٍ حزينةٍ

لا يطرقها أحد . . !!

-حسين-

يُورِثونَ الحياةَ انتصاراً..

أَمُرُّ . .

هل القلبُ يطوي الدُّروبَ

لدار الحبيبِ

أم أَنَّ الدّروبَ تَلُمُّ خُطايا . . ؟!

أَمُرُّ . .

وأذكرُ يوم وثبّتُ لأَقطفَ زهر القرنْفُلِ

كيف نقزتِ- وكُنْتِ وراءَ الأَصيصِ-

وصحْتِ :

- تَلطّفْ!!

فما هكذا يُؤْخذُ الوردُ يا ذا؟!

فإنّ ورودي بناتُ رؤايا

وصرتُ أمرُّ

وفي كُلّ يومٍ أَمُرُّ

وصارتْ ورودُكِ وردَ هوايا

وأذكرُ يوم هَمَسْتِ :

-سَألتُكَ ألاّ تمرَّ كثيراً

غداً يستفيقُ فحيحُ الوشاةِ

ويختلقون الحكايا

وأضحكُ مِلْءَ الفؤادِ

وتبتسمينَ

وددتُ لو أني أُقبِّلُ دارَكِ

أَلثِمُ كُلَّ الزوّايا

فدارُ الحبيب مزارٌ يُزارُ

ويومَ مزارِكِ

تذوي ذُنوبي

وتسقطُ . .

. . . تسقُطُ كُلُّ الخَطايا

تخافين قولَ الوُشاةِ؟!

لماذا . . ؟!

ستأتيك أُمّيَ قبلَ الغروبِ

لِتَقْطَعَ قولَ الوُشاةِ

وليتَ أباكِ يُقرُّ بأَنّيَ (شيخُ الشّبابِ)

وأَنّي جديرٌ بزَيْن الصّبايا . .

ونفرَحُ . .

نفرحُ . .

هذا الجليلُ يُحبُّ الزّغاريدَ

هذا التُرابُ الزّكيُّ شغوفٌ

بِمَن يزرعونَ

وَمَنْ يحصُدونَ

ومن يعشقونَ

ومن يُنْجِبونَ

ومَنْ يورثون الحياة انتصاراً

لجيلٍ جديد

يُمِدُّ الحياة بجيلٍ جديد

يُمِدُّ التراب الزّكيَّ

بمن يزرعونَ

ومَنْ يحصدونَ

ومَنْ يعشقونَ . .

. . ومَنْ يفرحون بزيْنِ الشّبابِ

يُزَفُّ لِزَيْن الصّبايا . .

(أيلول ١٩٩٧)

آهاً لشبّابةٍ لحنُها شاهدٌ..

. . . مرعىً لعنزتي الملحاء . . ومرتعاً

لطفولتي العجفاء . . كنت أيها الجبل . . !!

يعاتبني السَّفحُ أنّى نظرتُ
يطولُ الغيابُ
تهدهدني الذّكرياتُ
وتبعثُ فيَّ أريجَ الطُّفولةِ
أرجعُ طفلاً لواهُ الخجلْ.
أحنُّ إلى الشّيح في راحتيكَ
وأُصغي إلى الريحِ،
حين تُردِّدُ همس الزَّنابق،
خَفْقَ البواشق،
(رَشحَ) الحَجَلْ.
وأسألُ . .
هل تُرى ما تزالُ مراعي صبايَ هناك-
كما أبدعتها رُؤايَ

أمْ أنّ المراعي هشيمٌ
وأمستْ رُؤَايَ بقايا طَلَلْ؟!
لَكَمْ كنتُ أصعدُ تلك الشماريخَ
أصعدُ كيما أُلقّطُ بعضَ شُموخك
أمسحُ عن مقلتيّ انطفاءَ الحياة
واقطفُ عن مُقلتيْكَ اشتعالَ الأملْ...
وأحلُمُ.. أحلُمُ
ثُمَّ أعودُ فأَحلُمُ شوقاً
... تُرى هل يعودُ قطيعٌ من المعز يسعى؟!
مع الصُّبْحِ يسعى ليرعى
ويُؤنسَ تلك القُلَلْ؟!
فآهاً لذكرى قطيعٍ طواهُ الزّمانُ
وآهاً لأَسعَد -راعي القطيعِ-
- وأسعدُ هذا (يُشَبِّبُ) طولَ النّهارِ
على السِّن حيناً
وحيناً على شَفَةٍ لا تملُّ الجَذَلْ
وآهاً لشبّابةٍ لحنُها شاهدٌ أنّهمْ
قذاةٌ بعَيْنَيْكَ
أو ربّما الكُحْلُ!!

لكنْ . .

لعَيْنَيْكَ ياذا الجلال

لِعَيْنَيْكَ نحنُ نظلُّ الكَحَلْ .

(أيلول ١٩٩٧)

أراكِ كما لا تراكِ العيون..

. . . وحين تدقُّ القصيدةُ بابي
ويحملُني الخافقُ المستهامُ
إلى راحتيكِ
أراكِ . .
أحدّقُ فيكِ
غريباً أحدّقُ فيكِ
كأنّكِ عنّي غريبهْ.
أحدّق فيكِ
وأعلمُ أنّي أراكِ
كما لا تراكِ العيونْ.
وأُبصرُ تحت رُكامِ السّنينْ
مَلامِحَ طفلٍ حزينْ
وبيتَ ترابٍ كريماً بعيدَ المآبِ
يعودُ إليه انتسابي

وطفلاً أراني
أُلملمُ عطر الطفولة عن راحتيكِ
وأقطفُ عن وجنتيكِ
بقايا مراح صِبايَ
وطيشَ شبابي
وأحلُمُ أنّي أراكِ . .
بعيداً . . بعيداً . . أراكِ
فأنسى اكتآبيَ وَسْطَ هدير الحياةِ
وأنسى اغترابي.
وأنشرُ روحي
مِظَلةَ شوقِ الطّريدِ إليكِ
وأجمعُ حُلْمي بقايا حَنينْ
لدربٍ طروبٍ
تكلَّل بالحبِّ والياسمينْ
يمرُّ بدارِ الحبيبِ
إلى ساحة العينِ
حيثُ يطيبُ التقاءُ العيونْ
وغمزُ الجفونِ

وهمسُ العتابِ

ويحلو . .

هنالك يحلو جنونُ التّصابي . .

وأسألُ شوقاً :

تُرى أين غابتْ

بَساتينُ خوخٍ وتينْ؟!

وجوزٍ ولوزٍ

ورُمّانِ عيد الصّليبِ

شهيّ الرُّضابِ

وأين حواكيرُ ظَلّلها الميسُ

والأزد رختُ

وعرّش فيها جنونُ الدّوالي

كما يستطيبُ الجُنونْ

تدلّى قطوفاً قطوفاً

مِن الغابر الطيّب المُستَذابِ

فآهاً لذاك الزّمان الكريم الحنونْ

يمرُّ على غُربةِ النّفسِ

مَرَّ السّحابِ . .

وآهاً لتلك السنينَ الخوالي العِذابِ

قريباً من القلبِ

نبضُ فلسطينَ كانَ،

وكانتْ، على فقرها، قريتي

تستجيبُ نداءَ الحياةِ

مواويلَ . .

تحملُ جُرحَ الجليلِ

وتلبسُ وجهَ الجليلِ الشّجيّا

صباحاً نَديّا

شديدَ الوضوحِ

شفيفَ الإهابِ

كوجهكِ

حين يعودُ إليّا

شجيّاً نَديّا . .

يعودُ،

إذا ما القصيدةُ عادتْ

لتقرعَ بابي

(تشرين الأول ١٩٩٧)

سِتْرَ عاشقٍ يظلُّ ليلُنا الرّيفيّ

تُحبُّني . . ؟!

إذن تعال كي نُصالح القمرْ .

أمسِ اشتكى

يا طولَ ما اشتكى !

لأنّني واعدْتُهُ أن نلتقي

فما أتيتَ -أنتَ ما أتيتَ- ،

غابَ مُغضَباً

يسبُّ طينة البشرْ

ويندبُ الزّمانَ

صار فيه موعدُ الحبيبِ

أمراً عابراً

كأيِّ موعد يمرُّ

لا ارتعاشةٌ تهدهدُ الفُؤَادَ

لا وجومَ

لا تنهّداتِ عاشقٍ مُسَهَّدٍ ،

ولا سَهَرْ

وافتحُ الشُّبّاكْ...

أُغَلِّقُ الشُّبّاكَ

ثم انثني
لأفتح الشُبّاك
أسألُ الدّروبَ
ما تراهُ أخّرَ الحبيبَ. . . ما تُراهْ؟!
وأقرأُ الأعذارَ ساعةً
وساعةً أُقلِّبُ الفِكَرْ
وفي الصّباحِ
أسألُ الصّباحَ علَّ نسمةً
تمرُّ فوق دارةِ الحبيبِ
تحملُ الخَبَرْ
وأرفعُ السّماعة التي كرهتُ
أن تكون موصلي إليكَ
كم أحبُّ أن يظلَّ موصلي إليكَ
موعدي . .
وليلُنا
يا طول ما اشتهيتُ ان يظلَّ ليلُنا
بحُلمه الرّيفيّ
سِترَ عاشقٍ

يواعدُ الحبيبَ
والحبيبُ لا يجيءُ مَرَّةً
ومَرَّةً يجيءُ
كي يصالح القَمَرْ
تُحبُّني . . ؟!
إذاً، تعالَ كُلَّ مَرّة
أرجوكَ أن تجيءَ كُلَّ مَرَّةٍ
أرجوك أن تجيءَ
كي لا يَغْضَبَ القَمرْ.

**(تشرين الأوّل ١٩٩٧)**

نوستـالچیا...

في الصّيف كان عاشقاً
لرزقة السَّماءْ
وخُضرةِ الشّجَرْ
وفي الشّتاءِ كان ينزوي
في قرنةٍ دافئَةٍ
يستقبلُ الغمامَ شاكراً
وشاكراً يستقبلُ المطرْ
وصامتاً تراهُ طول يومِهِ
-عن حكمةٍ-
يُقلِّبُ الجِمارَ ساعةً
وساعةً يُقلّبُ الفِكَرْ
وحين كان يجمعُ المساءُ شَمْلَنا
بشمْلِه
هناك كان يجْملُ الحديثُ
يَعْذُبُ السَّمَرْ
وكان إذْ يسألُني :
تُحبُّني ؟!
أجلْ أجيبُ

يا حبيبُ

يا طبيبُ

يا أحبَّ مَنْ عرفْتُ مِنْ بَشَرْ

وكيف لا أُحبُّهُ؟!

وهو الذّي يجيئُني

بما يلذُّ للطَّفولةِ العجفاءِ

منْ مُلَبَّسٍ

وكُلِّ ما يُدسُّ في الجيوبِ

مِنْ سكاكرٍ

وكُلِّ ما يطيبُ من ثَمَرْ

وكيف لا أحبُّهُ

وهو الذّي يقصُّ لي

عن طيبِ خاطرٍ،

ما طابَ لي من أجملِ العِبَرْ

فيسرحُ الخيالْ

في غابرِ العصورِ،

أركبُ الأحلامَ

لا أعودُ إلاّ فارساً

قد انتصرْ
وكيف لا أحبُّهُ
ولم يزلْ،
للآن لم يزلْ . .
أراهُ فوقَ ما يُطالُ،
ذِكرُهُ
يهدهدُ الفؤادَ
غابَ أو حضرْ

*

يا جدّيَ الذّي عرفْتُهُ
يحبُّ زرقة السّماءِ
يعشقُ المَطَرْ
وذكرُهُ
يهدهِدُ الفؤادَ
غابَ أو حَضَرْ
مُحَوَّطاً بالحُبِّ

عشتَ بيننا
مُحَمَّلاً بالحُبِّ
عُدْت للعوالم الأُخَرْ
وبعدَ أن رحَلْتَ
بعد أن تغيّرتْ
ملامحُ البَشَرْ
أشدُّ ما أخشاهُ
أن نصيرَ أُسرةً
فؤادُها حَجَرْ
كبيرُها
مُشْكلَةٌ عصريّةٌ
وحلُّها . .
لدى السّماءِ
والقضاءِ والقَدَرْ
يا جدّي الذّي ،
مُحوَّطاً بحُبّنا ما عاشَ بيننا
مُحَمَّلاً بالحُبِّ
عادَ للعوالم الأُخَرْ

أشدُّ ما أخشاهُ

أن يطولَ بي العُمُرْ

وأن أصيرَ جدَّ أُسرةٍ

فؤادُها حَجَرْ

**(تشرين الأوّل ١٩٩٧)**

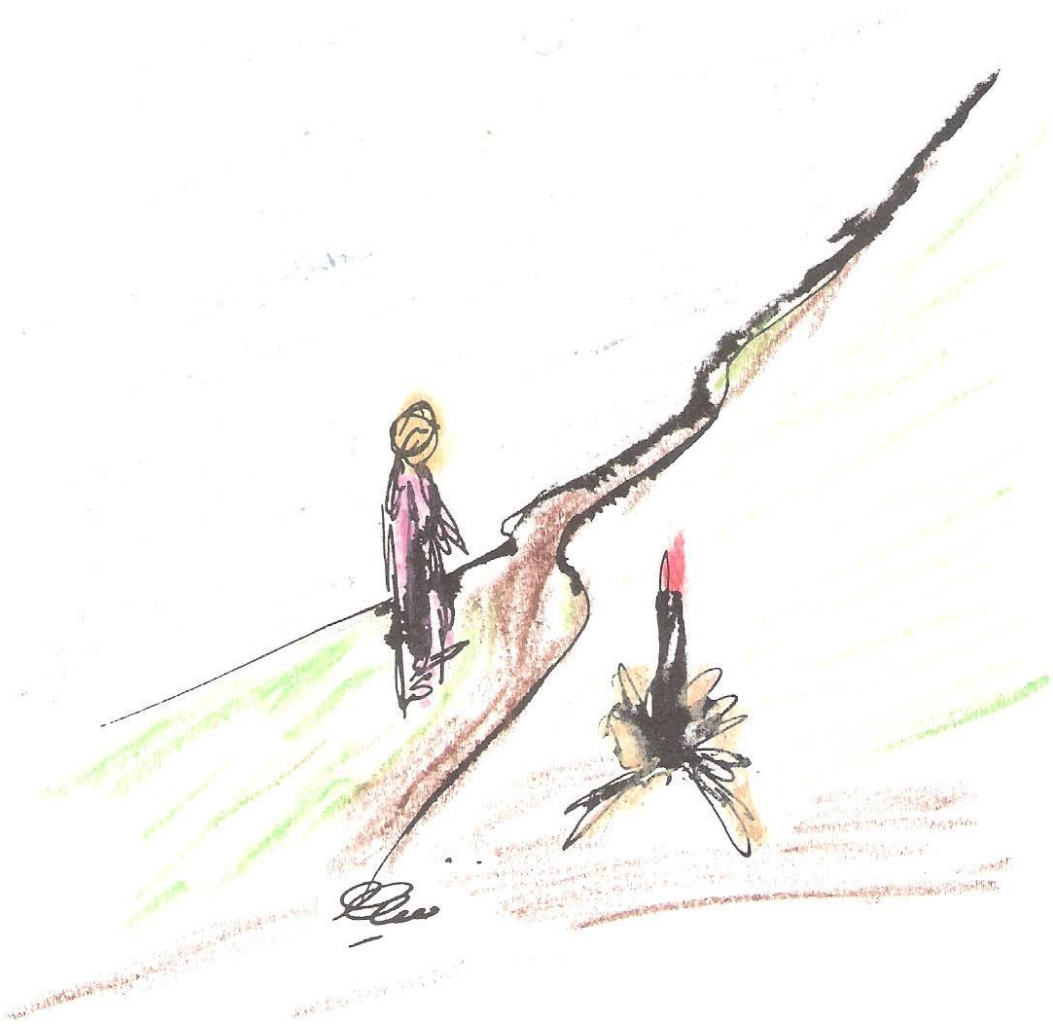

## قليلاً من الوقــت..!!

قليلاً من الوقتِ
إنّي سألتُ الحياةَ
فهذا الصّباحُ -صباحُ بلادي- جميلٌ
وعندي كلامٌ جميلٌ
وبي رغبةٌ في ارتشافِ الحياةِ

*

قليلاً من الوقتِ . .
قدمَلَّني العُمْرُ نايا حزيناً
ومَلَّ وقوفي ببابِ الحياةِ
غريباً
أُلقّطُ بعضَ رجاءٍ
يُعيدُ انتمائي لهذي الحياةِ
ويجمعُ بعضَ شتاتي

*

قليلاً من الوقتِ . .
إنّي عزمْتُ
على أن أعيشَ الحياةَ
كما اشتهي أن تكونَ الحياةُ

صباحاً جميلاً
يُطلُّ على عتمةٍ في الفُؤادِ
وبعضَ هواءٍ نقيٍّ
ووردٍ يُلَطِّفُ هَجْرَ الحبيبِ
وحُبّاً شديدَ البياضِ
يُعَمّدُ ذاتي

*

قليلاً من الوقتِ . .
ما عادَ مُتّسعٌ لانتظارِ البعيدِ
وما عادَ للحُلْمِ
لونُ البنفسجِ
يكفي الفؤادَ صباحٌ جميلٌ
كهذا الصّباحِ الجميلِ
لأُعلنَ أنّي الفقيرُ الأخيرُ
على هذهِ الأرضِ،
أُعلِنُ أنّي الغنيُّ الكبيرُ
بهذا الصّباح الجميلِ
يُطلُّ على شُرفتي

في أعالي الجليلِ . .
وليس كثيراً
إذا ما سألْتُ الحياةَ
قليلاً من الوقتِ
هذا الصّباحُ -صباحُ بلادي- جميلٌ
وعندي كلامٌ جميلٌ
وبي رغبةٌ في ارتشافِ الحياةِ . .

(تشرين الأوّل ١٩٩٨)

لنا فوق هذا الجليل..

لنا فوقَ هذا الجليلِ
ترابٌ جليلٌ
عليه نُقيمُ
ومنه نَبتْنا كما ينبُتُ العُشبُ
والأُقحوانُ
وبين يديه
تركنا طفُولتَنا
والشّبابَ
لنكبُرَ فيه
ويكبُرَ فينا
ونحيا . .
وبين انتصارِ الحياةِ عليه
وبين انتظارِ الوداعِ الأخيرِ
سككنا تواريخَ ميلادنا فِضَّةً
وانتظرنا
تمرُّ لقالقُ فوقَ مواسِمِ أفراحنا
وتأكُلُ قمحَ بيادرنا
ثُمّ تمضي . . .

ونبقى هنا-كما لا يحبُّ الغزاةُ-

وكم من كواسرَ جاءَتْ إلينا

لِتَخْطَفَ منّا مواعيدَنا،

والكلامَ الجميلَ

وتقطِفَ عن دورنا شِعْرنا،

والهديلَ

وتحملَ عنّا

مواويل عُشّاقنا

ثُمّ تمضي..

ونبقى هُنا!!

على هذه الأرض نبني

-كما لا يحبُّ الغُزاةُ-

ونرعى على مَهَلٍ مَجْدَ أجدادنا

والكرومَ التّي غرسوها.. لنأكُلَ..

طوبى لِمَنْ غرسوا فأكلنا

وطوبى لِمَن سوف يغرسُ،

كي يستحقَّ الحياةَ على هذه الأرضِ،

طوبى لِمن قال: أحيا..!!

وقالَ:

أحبُّ الحياة هُنا

فوقَ هذا الجليلِ

وإنْ ضيّقوهُ علينا

وإنْ ضيّقوها

وقالَ:

إذا مُتُّ

فلتحتضنّي الغيومُ

ويُلْقِ عليّ القرنفُل

شيئاً يسيراً من العِطرِ

والأرجوان الجليليّ،

إنّي وعدْتُ الجليلَ

بأنّا على العَهْدِ نبقى-

حبيباً يذوبُ بِدِفْءِ الحبيبِ

ويفنى

لينبتَ فُلاًّ ودفلى

وَشيحاً على شاهداتِ القُبورِ

تدلّى

وأقواسَ نَصْرٍ
تُجمّلُ أفراحَ مَنْ يصنعونَ الحياةْ
-كذا تستعيدُ مواليدَها الأرضُ
أو نستعيدُ الحياةَ
لنمضي
وتمضي صعوداً . .
كأَنْ لم يَمُرَّ على ناظريْها غُزاةْ!!

**(تشرين الثّاني ١٩٩٩)**

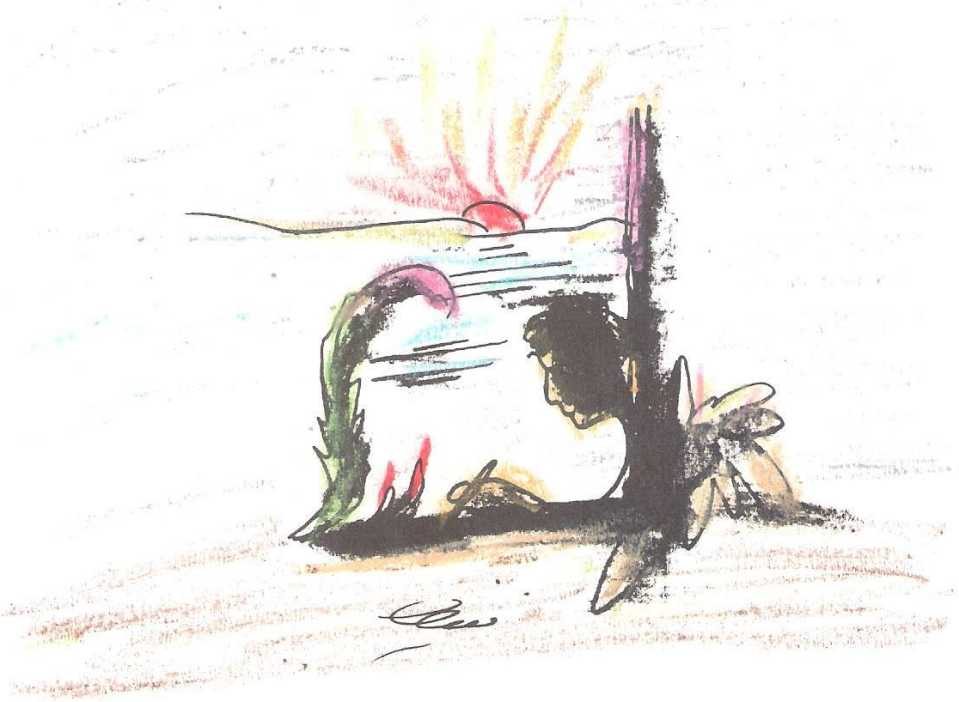

سأجلسُ ذاتَ مساءٍ..

(١)

سأجلسُ ذاتَ مساءٍ بعيدٍ

وحيداً . .

وأفتحُ قلبي

على شرفتينِ

وراءَ الغمامْ

لعلّ رفوفَ اليمامْ

تجيءُ

وتلقي السّلامَ عليَّ

وتغفو قليلاً على راحتيَّ

لأكتبَ أغنيّةً

عن بلادي

(٢)

وذاتَ مساءٍ بعيدٍ

وحيداً سأجلسُ

علَّ القَمَرْ

يُطلُّ عليّ

فيؤنسُ قلبي الحزينَ

وقد أثقلتْهُ همومُ الحياةِ
وطولُ انتظارِ البعيدِ
وطول السَّهَرْ
وعلّ السَّحَرْ
يُطلُّ بُعَيْدَ رحيلِ القَمَرْ
فيلقي عليَّ كلاماً جميلاً
ويمضي . .
لأبقى وحيداً
وأكتبَ أغنيّةً
عن بلادي

(٣)

وذاتَ مساءٍ بعيدٍ
وحيداً سأجلسُ
عَلّ المساءْ
وحُزني الثقيلَ
وصمتي الطّويلْ
يعيدان لي

روح (هوميرُسَ) المُستحيلْ
فأحملُ جرحي
حكايةَ شعبٍ كليمٍ
ونايًا جريحًا شجيَّ الغناءْ
وظَنّي
بأنّ الجراح تحكُّ الجراحَ
وأنّي
إذا ما جلست بذاكَ المساءْ
وحيداً
حزيناً
سأكتبُ أُغنيّةً
عن بلادي

(٤)

ويأتي مساءٌ
ويمضي مساءْ
وأبقى على الوَعْدِ
أرقبُ ذاك المساءَ البعيدَ

وتبقى بلاديَ جُرحاً جريحاً
يفوقُ حدودَ القصيدِ
وفوق حدود الغناءْ
عزائيَ أنّي
سأجلسُ ذات مساءٍ بعيدٍ
وحيداً
وأكتبُ أُغنيّةً عن بلادي .

**(تشرين الثّاني ١٩٩٩)**

تركنا على كُلِّ دربٍ..

تركنا على كُلِّ دربٍ
وفي كُلِّ حَفْلٍ
صدى كركراتٍ عِذابٍ
وبعضَ شقاواتِنا . . وافترقْنا
وكُنّا حَفَرْنا على جذعِ صفصافةٍ
عند ذاك الغديرِ
كلاماً جميلاً
وأسماءَ مَنْ واعدونا اللّقاءَ
وأسماءَنا
وبُحْنا لها -يعلَمُ اللهُ-
كم أثقلتْنا (الذّنوبُ)
لنرتاحَ مِن ثِقْلِ أسرارنا
ويشهدُ صَمْتُ الغَديرِ
بأنّا رسمنا الحياةَ
على صفحاتِ الغديرِ
وأنّا نشرْنا على نجمةٍ في البعيدِ
شراعَ الأماني،
وأحلامَنا

وانتظرنا

كبرنا . .

وأحلامُنا لولَبت في الفضاءِ السّحيقِ

جناحين من ضحكةِ الأرجوانِ

وغابتْ

كما غابَ عندَ المساءِ الخريفيِّ

شدوُ الهزارِ الحزينِ

وأفراحُنا . .

والحُداءُ

وَرَجْعُ الزّغاريد في نشوةِ الحاصداتِ

وأزجالُنا

وتشهدُ كُلُّ الدّروبِ

ودربُ الحياةِ الطويلُ

ووقعُ خُطّانا

بأنّا شربنا الطّفولة مثل الدّواءِ

لنحيا بها

أو بما تُنبتُ الأرضُ -بَقْلاً

وخبزاً حلالاً،

وحبّاً كبيراً
يكونُ الوقودَ
لنَعْبُرَ هذي الحياةَ -بفقرٍ وبَسْطٍ-
كما كان جدّي يقولُ . .
عَبَرْنا . .
وقد أسعفْتنا ملامحُ ذاكَ الزّمانِ الكريمِ
وحكمةُ جدّي
لنبقى على هذه الأرضِ-
أهلاً لهذا التّراب الزّكيِّ
فما أجفلتْنا خيولُ الغُزاةِ
وما أذهلتْنا حِرابُ الطُّغاةِ
وكَمْ ساومونا الرّحيلَ فقُلْنا :
نموتُ عليه -ترابَ الجدودِ . .
نموتُ عليه لِنَحْيا
ويحيا . . !!
ونحنُ
إذا ما ذكرنا دروبَ صبانا
سنذكُرُ كُلّ الذّين مَضَوا واستراحوا

وقد أورثونا

محبّة هذا الجليلِ

وحُبَّ الحياةِ

وَعِشْقَ قُرانا

ونذكُرُ أنّا وُلدْنا هنا

وأنّا -بفقرٍ وبسطٍ- هنا قد كبرنا

وأنّا سنمضي . .

لِنُورِثَ حُبّ الحياةِ

وحُبَّ الجليلِ

وعشقَ قُرانا

. . لجيلٍ جديدٍ سِوانا . .

**(تشرين الثّاني ١٩٩٩)**

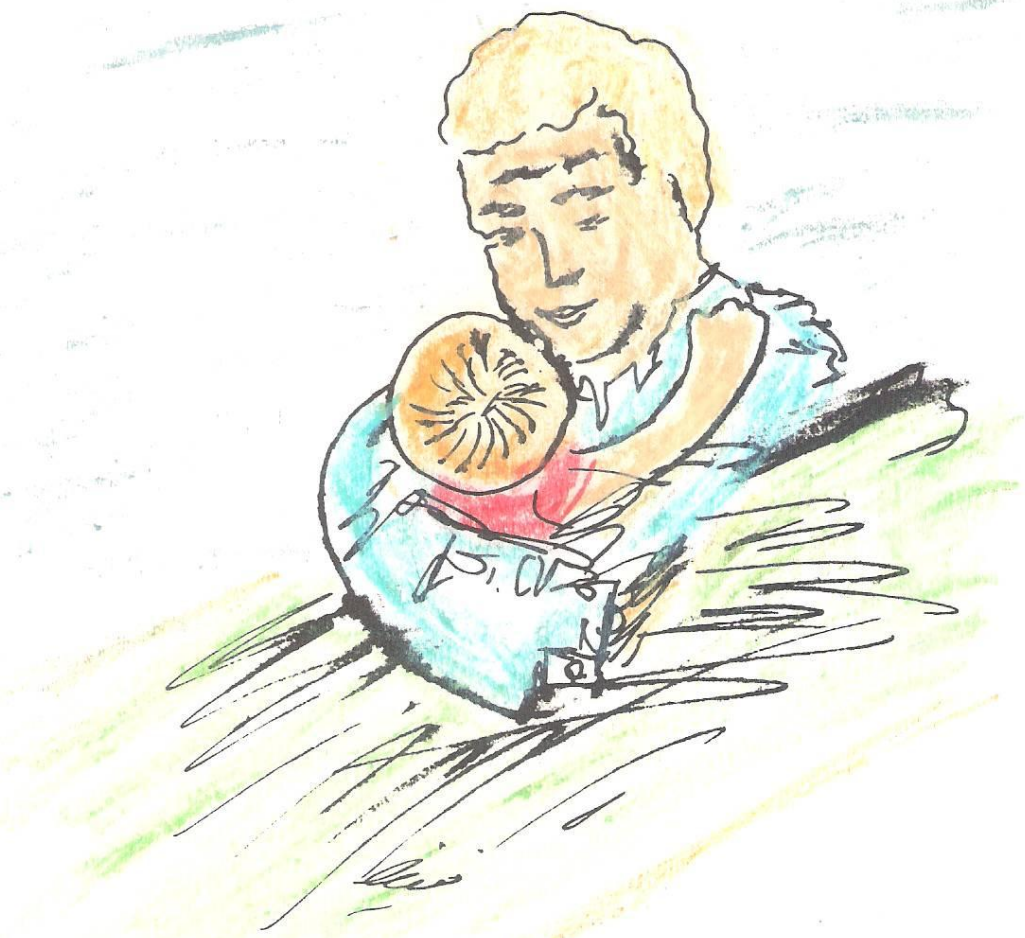

بي شـــوقٌ لأحيـا

ها هي الخمسون تعوي
عند بابي
والحساسينُ التّي غنّتْ
لأيّامي طويلاً
جاءَت الآن لكي ترثي شبابي
عشتُ ما عشتُ
وبي شوقٌ لأحيا
وفؤادي
لم يزلْ يهفو لأيّام التّصابي
غير أنّي
بتُّ أخشى لُعبةَ الأيّامِ
والأيّامُ تقسو أو تُحابي
ويضيقُ العُمْرُ يوماً
بعدَ يومٍ
فإذا خطوي ثقيلٌ راجفٌ

وإذا العُمْرُ خريفٌ

يتوارى في إهابي

ها هي الخمسونَ تعوي

وأراها كيف مَرَّتْ

-مثل يومٍ واحدٍ- مَرَّ السّحابِ

وأراني

أمضغُ الذّكرى على مَهْلٍ

وأرنو

للغدِ الآتي بصمتٍ وارتيابِ

لي عزاءٌ

زوجةٌ كانت على الأيامِ

عَوْني

وهي أيضاً ما بها

أضعافُ ما بي

وكلانا

صار يكفينا قليلٌ من صفا عيشٍ

وبعضٌ من ثوابِ

وأتيتْ. . !!

يا مُحمَّدْ

مثلما يأتي الغمامْ

كي تُعيدَ الضحكة الخضراءَ

للأرضِ اليبابِ

ولْتَزيدْ

من جمال العُمرِ

والعُمرُ خريفٌ

باردُ الأطرافِ

كابٍ . .

وليظلَّ المسك يذكو

حين تعدو في رحابي

وإذا كركرْت يا طفلي

تغيمُ الدّارُ بالأُنسِ

ويزهو حَقْلُ أيّامي

بأيّامٍ عذابِ

وأنا

يا بَهْجَةَ العُمْرِ

ويا عُكّازَ أيّامي

وعوني

في زمانٍ

غاب عنه الخُلُّ

وازدادَ اغترابي

صرتُ أحلى

يومَ توّجْتَ حياتي

وأتيتْ

صرتُ أبهى

يومَ جَدَّاً صرْتُ يا طفلي

وأزهو بمشيبي

مثلما يوماً زهَوْتْ . .

. . بشبابي . .

**(كانون الأوّل ١٩٩٩)**

وإنّا ورثْنا الصّباح الجميلَ...

وإنّا ورثنا الصّباحَ الجميلَ
وهذا الجليلَ
وفجراً تلفّعَ بالياسَمين،
ورثنا القَرَنفُلَ منذُ تدلّى
على شُرُفات البيوتِ
وصَلّى
لينضحَ عشقاً توارثَهُ الحالمونَ
وكي تستعيدَ الحياةُ مفاتنها
والّشبابَ،
وتحملَ سرَّ البقاء
لَمَنْ يلبسونَ الحياةَ
كما يشتهون،
ومَنْ يَبْذُرونَ الوفاءَ لأرضِ الجدودِ
كما حَبّةِ القَمْح
تُطلِعُ سبعَ سَنابلَ . . .
إنّا ورثْنا الصّباحَ الجميلَ
وشمسَ الأصيلِ
وذاك النّسيمَ العليلَ

وليلاً طويلاً
يمرُّ على كَرْبَةِ القلبِ
كي يستريحَ
وكي تستريحَ معاولُ
مَنْ يعرقونَ
لنأكُل خُبزاَ شهيّاً
وتيناً
وزيتاً
وما يغرسونَ
بهذا المكان الأمينِ
ونحيا الحياةَ
كما ينبغي ان تكونْ
ونبقى بهذا المكان الأمينِ
ولو ضيّقوهُ علينا
ولو مَزّقوهُ
نجوعُ ونعْرَى
لنبني قُرانا
عرائِشَ حُبٍّ

على أنف مَنْ يهدمونْ
ونُعلنَ أنّا
لنا في الحياةِ
ذراعُ تطولُ تطولُ وباعُ
ففي كُلّ دربٍ
مُحبٌّ يجولُ
وسِرٌّ يُذاعُ
وفي كُلّ حقلٍ
روائحُ عشق الصّبايا
يلقّطْن بقلاً
ويكشفن أسرارهُن
لزهرِ الحقولْ
وفوق البيادر تُجنى الغلالُ
بِعَزْمِ الشّباب العَجولِ
وحَزّم الكهولْ
وتمضي فُصولٌ بغير وداعٍ
وتأتي على غير وَعْد فُصولْ
ونبقى على عَهْد مَنْ أورثونا

الوفاءَ النّبيلَ
ومَنْ علّمونا الحُداءَ الجميلَ
وحبَّ الحياة -على غير يُسْرٍ-
لنبقى ونبني
على أنفِ مَنْ يهدمونْ
ونبني لنبقى
وَهُمْ راحلونْ . .
ونبقى لنحيا
بهذا المكان الأمينِ الأمينْ
لنا في الحياةِ
حديثٌ طويلٌ . . .
طويلٌ . . . طويلٌ . .
وما سوفَ نُورِثُ
إنّا
لنا في الحياةِ . .
فهلْ لِلْغُزاةِ حديثٌ . .
. . . ومَا يورثونْ؟!!

(شباط ٢٠٠٠)

سألتُكِ هذا المساءَ لقاءً..

سألتُكِ هذا المساءَ لقاءً

فقولي

سآتيكَ . .

أو لا تقولي . .

وتدرين أنّي وُلدْتُ

لهذا الجليل فداءً،

وللحُبِّ إنّي وُلدْتُ

وأرجو لقاءَكِ

في كُلِّ آنٍ

وكُلِّ أوانٍ

وصبحاً أريدُ لقاءَكِ

ظُهراً أريدُ

وعندَ الأصيلِ

سألتُك هذا المساءَ لقاءً

سأفرحُ جدّاً إذا ما أتيتِ

سأوقدُ ناري

وأفرشُ داري بما تشتهينَ

وما يوقظُ الحُبَّ

والذّكرياتِ
وأُطلقُ طيراً سجيناً بصدري
يحنُّ إلى دغدغاتِ البَداءَةِ
يشربُ نَخْب البراءَةِ
إنّي سألتُك هذا المساءَ لقاءً
سأحزنُ جداً إذا لم تجيئي
وأجلسُ خلفَ ستائر قهري
وحيداً
حزيناً
أَعدُّ الدّقائقَ حيناً
وحيناً أُجالِدُ صمتي
وصبري
وليتكِ أنتِ التي تسألينَ!!
فآتيكِ قبل انتهاءِ السُّؤَالِ
وأسرعَ من نسماتِ الصّباحِ الطّريءِ
فَنَمْلأُ هذا الوجودَ
كلاماً جميلاً
وشِعراً عن العاشقينَ

وهمساً . .

ولمساً . .

وبوساً . .

إلى أن ينامَ الجليلُ

على ساعدْينا

ويغفو الغرامُ

ونغفو . .

كأنّا حريقٌ حَواهُ حريقُ

وَيَطلُعُ صُبحٌ

ويعبَق في خاطرَيْنا رحيقُ

فلا أنتِ تصْحينَ،

لا الحبُّ يصحو . .

. . . ولستُ أُفيقُ .

(آذار ٢٠٠٠)

أَسْمِعْني صوتَكَ...

"إلى نايف يطفىءُ
شَمْعَتَهُ الأولى..."

أَسْمِعْني صوتَك
عربيّاً
لا يَتَلَجْلَجُ في شفتيكَ
ويحملُ قلبي المتعبَ
خلف حدودِ الوهمِ
أَعدْ لي
بعض ربيعٍ
يسكُن بسمتَك الوادعةَ،
الواعدةَ بأصيافٍ قادمةٍ
تشربُ حُزني
أسمعني صوتَك
خذني شوقاً
يختزلُ الرّاهنَ
في نسمة صيفٍ
تُرجعُني،

طفلاً يتساقطُ ملهوفاً

فوقَ طفولته

ويلملمُ سحر حكايات الجنِّ

وسرَّ النّفّاثاتِ

وبعضَ شجاعته

كي يركض شوقاً

خلف الحُلُم الهاربِ

كي يجمع أيّامي سُنبلةً سُنبلةً

ويردَّ شبابي

سيفاً مثلوماً

نحو كهولته

أسمعني صَوتَكَ . .

أخرجْني من حُزني الدّابقِ

في رئتي ،

وأخرُجْ من جلبابِ الزّمنِ المهزومِ

جواداً عربيّاً

ينقلُ للرّيحِ

صهيلَ الفرح القادمِ . .

أنتَ الفرحُ القادمُ يا ولدي

أنتَ . .

وهذا الوطنُ الغارقُ

في صمتِ التّاريخِ

المصلوبُ على عرباتِ الغازينَ

الحاملُ ميراث عروبتهِ

وجعاً أبديّاً،

يعرفُ كيف يحبُّ

وكيف يودّعُ كُلَّ جذوعِ الشّجر الشائخةِ،

وكيف يُعدُّ الأعراسَ

لأغراسٍ

تضربُ في الصّخر جذوراً . .

إضرب جذرك يا وَلدي

أسمعني كيف تُدَوْزِنُ صَوْتَكَ

فوقَ مَفاتيحِ اللُّغَةِ العربيّةِ

يكفي مأمأةً

يكفي بأبأةً

قُلْ: يا أُمّي

قُل : يا أبتِ
قل أيَّ كلامٍ
فاللُّغَةُ جذورٌ تنزلُ في الأرضِ
وتنزلُ . . . تنزلُ
كي تورقَ وطناً في شفتيكَ
وتوقدَ في عينيكَ
بهاءَ الضّادِ
وتودعَ بين يديكَ
جلالَ الوطنِ المكلومِ
وسرَّ محبَّتِه
يا ولدي . . !!
وأنا الرّاكضُ
خلفَ الأيّامِ الهاربةِ
وأنتَ تَهُشُّ الأيامَ
قطيعاً موفورَ الطّاعةِ
نحو حظيرتِه
أسمعني صوتَكَ
كي أسمعَ وطني ،

يتجدَّدُ لحناً عربيّاً

يتردّدُ في أُذني

ويُعيدُ لقلبي المتعبِ . . . يا سَندي

أسباب مودّتِه .

**(نيسان ٢٠٠٠)**

لي موعدي في انتظارِ الحياة...

كأنّي أراكم،
كما قَدْ رَأَتْكُمْ دمائي
على باب (عايَ)
تشدّونَ خيلاً
وتعدونَ خلفي
ويومَ صرختُمْ ببابِ (أريحا):
- تموتُ.. تموتُ
وراحابُ تحيا..!!
حملْتُ الحياة على راحتيَّ
وسرتُ على مَهَلٍ أنثُر الحُبَّ والشعرَ
سرْتُ.. وسرتُ.. وسرْتُ..
أنا أستزيدُ الحياةَ حياةً
وأنتم تشدّون خيلاً
وتبغون حتفي..
إلى أين هذا الطرّادُ الطّويلُ.. الطويلُ.... ؟!
فما مِن مكانٍ تركتُمْ
أمدُّ به آمناً قامتي
وما من زمانٍ كريمٍ تركتُم

لأَخْطَفَ بعضَ الدقائقِ
أُلقي على صمتها هامتي
إلى أين هذا الطرادُ
- أموتُ . .
وراحابُ تحيا . .
دعوا منطقَ السّيفِ،
أو
فَلْتَعُودُوا إلى حيثُ راحابُ
كانتْ
وفرعونُ كانَ
وكنتم عبيدَ الطّغاةْ
كأني أراكم،
كما قد رأتكم دمائي
تشدّون خيلاً
وتعدونَ خلفي
أعدّوا مواعيدَ غاراتكمْ
وأكفانَ احفادِكُم واستعدوا
فلي موعدي في انتظارِ الحياةْ.

(أيّار ٢٠٠٠)

**إشـــارات:**

١) (عاي) مدينة فلسطينيّة (كنعانية). وقد أُخِذَت بالحيلة.. جاءَ في التّوراة- وكان لمّا انتهى اسرائيل من قتل جميع سُكّان عاي.. رجعَ إلى عاي وضربوها بحدّ السّيف. (يشوع اصحاح ٨).

٢) راحاب- الزّانية التي ساعدت يشوع بن نون على احتلال اريحا. جاءَ في التّوراة (يشوع اصحاح ٦). فتكون المدينة وكُلّ ما فيها مُحَرَّماً للرّب. راحاب الزّانية فقط تحيا هي وكلّ مَنْ معها في البيت لأنها قد خبّأَت المرسَلينْ اللّذَيْن أرسلناهُما.. وحَرَّموا كُلَّ ما في المدينة من رجلٍ وامرأةٍ من طفلٍ وشيخٍ حتّى البقر والغنم والحميرَ بحدِّ السّيف.

# كتب حسين مهنّا

١- وطني ينزفُ حُبّاً- شعر- الأسوار، سنة ١٩٧٨.

٢- وطني رُدّني إلى رُباك شهيداً- قصص- الأسوار، سنة ١٩٨١.

٣- أموتُ قابضاً حجراً- شعر- الأسوار، سنة ١٩٨٦.

٤- تمتمات آخر اللّيل-شعر- الأسوار، سنة ١٩٨٨.

٥- قابضون على الجمر- شعر- إصدار خاص، سنة ١٩٩١.

٦-حديثُ الحواس-شعر- اصدار خاص، سنة ١٩٩٢.

٧- عوض يستردُّ صباه- شعر- اصدار خاص، سنة ١٩٩٣.

٨- انتِ سبيّتهم وشعري نحيبُ العاجز، اصدار خاص، سنة ١٩٩٣.

٩- ليس في الحقل سوسنٌ للفرح- شعر- دائرة الثقافة، سنة ١٩٩٥.

١٠- الحبُّ أوّلاً- شعر- اصدار خاص، سنة ١٩٩٥.

١١- فرح يابس تحت لساني- شعر- اصدار خاص، سنة ١٩٩٦.

١٢- على سريرٍ أبيض- نصّ- الأسوار- سنة ١٩٩٨.

على هذه الأرض نبني

-كما لا يحبُّ الغُزاةُ-

ونرعى على مهلٍ مجد أجدادنا

والكرومَ التي غرسوها . . لنأكل . .

طوبى لِمَن غرسوا فأكلنا

وطوبى لِمن سوف يغرسُ،

كي يستحقَّ الحياة على هذهِ الأرض،

طوبى لِمن قال: أحيا . . ! !

وقال: أحبُّ الحياة هنا

فوق هذا الجليلِ

وإن ضيَّقوهُ علينا

وإن ضيَقوها . . .